# المدائح النبوية في شعر شوقي وإقبال

**أ.د. سيد حسنين أختر**

قسم اللغة العربية بجامعة دلهي، نيودلهي، الهند

**توطئة:**

إن موضوع المدائح النبوية موضوع مهم جدًا، وقد تناوله جميع الشعراء في جميع البلدان بلااستثناء، والغريب أن الهندوس الذين لايدينون بالإسلام أيضًا قرضوا أبياتا رائعة فيالمدائح النبوية، وفي هذا الصدد ألف الدكتور دهرمندرناتھكتاب "ھمارےرسول"(رسولنا)، جمع فيه قصائد الشعراء الهندوس في المدائح النبوية، وهذا يدل على أن هذا الموضوع عاد صنفًا من صنوف الكلام، يُطرح فيه الكلام، ويشارك فيه الشعراء في كل دين ونحلة.

وفي هذا البحث المتواضع نرى إسهام العبقريَّيْن: عبقري الشعر العربي أحمد شوقي وعبقري الشعر الأردي والفارسي محمد إقبال في المدائح النبوية، وما تحمله مدائحهما من روائع وبدائع في الفكر والأسلوب والمعنى والمبنى، والتي تربط العبقريتين بسلك من الوحدة الفكرية والروعة البيانية، ولكي يتضح المراد على القارئ العربي قمت بترجمة ما جاء في البحث من شعر إقبال إلى اللغة العربية.

**وقفة موجزة مع شوقي وإقبال:**

من المعلوم لدى الجميع أن كلا من الشاعر المصري أحمد شوقي والشاعر الهندي محمد إقبال يتمتع بشعبية كبيرة في العالمين: العربيوالإسلامي، وشوقي من شعراء القرن العشرين في مصر، فقرض الشعر باللغة العربية ويلقب عن جدارة بأمير الشعراء؛ والعلامة محمد إقبال أيضًا من نفس القرن، ومن شبه القارة الهندية، واختار اللغة الأردية واللغة الفارسية لشعره وتبليغ فكرته.

وُلد شوقي في عام ألف وثمانمائة وثمانية وستين(١٨٦٨م)بالقاهرة، ونشأ بها، وعاش شوقي في عصرٍ، كان الشعر فيه تقليديًا، وكان قد أصاب الأدبَ شيء من الجمود، فقام شوقي بعمل تجديدي، يحاول فيه اتباع طرق الشعراء الكبار من العصر العباسي الذهبي للشعر العربي([1]).

ووُلد محمد إقبال في عام ألف وثمانمائة وسبعة وسبعين (١٨٧٧م) في سيالكوت من ولاية بنجاب الهندية آنذلك، وهي واقعة اليوم في باكستان، وكان الشعر في الهند في ذلك الوقت كلاسيكيًا، وكان الميرزا داغ الدهلوي على رأس الشعراء الأرديين، فكان يرسل إقبال قصائده إليه لغرض الإصلاح؛ ولكن بعد زمن قليل بدأ إقبال بكتابة القصائد الخاصة، يطلق عليها مصطلح "نظم" باللغة الأردية، ونظم هذه القصائد على العناوين المختلفة والموضوعات العديدة، وبذلك استخدم إقبال نوعًا شعريًّا جديدًا باللغة الأردية، فهكذا قام شوقي وإقبال بتجديد آداب لغتيهما، ونفخا فيهما روح النشاط([٢]).

وعلاوةً على ذلك بينهما عدد من القواسم المشتركة، ومنها أنهما كانا مطلعين على الآداب الإسلامية والغربية، وينتميان إلى الخلفية الثقافية الشرقية، وعاشا في عصرٍ واجهت فيه الأمة الإسلامية تحدياتٍ سياسية في البلدان الإسلامية والهند، وقد كان الاستعمار الغربي يمتد إلى الدول الإسلامية كلها، وكانت الأمة ترزح تحت نير الجهل والفقر والتخلف.

وتحت هذه الظروف الحالكة للعالم الإسلامي ظهرت أصوات مخلصة تنادي بعودة المسلمين إلى النبع الإسلامي الصافي، فكان أحمد شوقي ومحمد إقبال من هؤلاء المفكرين والدعاة الذين شعروا بهذه الحالة، وحاولوا أن ينبهوا الأمة الإسلامية إلى هذه التحديات، ومن ثم توالت نتاجاتهما الشعرية الإسلامية، فتغنى شوقي بمجد الإسلام وماضيه باللغة العربية، وأنشد إقبال القصائد التي كانت فيها رسالة وحكمة وموعظة، وما قرض محمد إقبال شعرا باللغة العربية، وإنما قرض الشعر بالأردية والفارسية.

**قصائد شوقي في المدائح النبوية:**

فموضوع مقالتنا هذه "المدائح النبوية"، أما شوقي فله عدة قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أشهرها القصائد الثلاث، وهي الميمية والبائية والهمزية، فهمزية شوقي معروفة جدا، وتُدرس في جامعاتنا أيضا ومبدؤها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ** وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ والملائك حوله ** للدين والدنيا به بشراء([٣])

عندما نقرأها يبدو لنا أن الماء الصافي الرائق يسيل من شلال ونجد فيها من الروعة والقوة والجمال ما لايوصف، وفوق كل شيء نجدها فائضةبحب الشاعر وعشقه للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، الذي يستحق كل هذه الأوصاف؛ بل أكثر منها.

نظم شوقي ميميته على غرار ميمية البوصيري، إن ميمية البوصيري قصيدة رائعة، وفتحت بابًا واسعًا للشعراء لقرض الشعر في مدح الرسول، فنظم عديد من الشعراء على نهجها ومنوالها، ومنهم شوقي أيضا، فقرض ميميته، ومطلعها:

رِيمٌ على القاعِ بين البانِ والقلمِ ** أحل سفك دمي في الأشْهُر الحُرُم(٤)

**قصائد إقبال في المدائح النبوية:**

نظم إقبال أيضا قصيدتين بالفارسية في مدح الرسول، ويقال: إن إقبال كان مريضًا ورأى في المنام السيرسيد أحمد خان مؤسس جامعة علي جراه الإسلامية يقول له: إذا نظمت قصيدةً في مدح الرسول، وناجيت به شفاءك فإن الله سوف يشفيك من هذا المرض، فنظم إقبال قصيدةً فارسيةً، وضمنها ديوان "پس چه بايد كرد" (وماذا أصنع الآن) عقد عليها عنوان ‘‘در حضور رسالت مآب‘‘(إلى حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مبدؤها:

اے توما بيچارگاں را ساز و برگ ** وا رهاں ايں قوم را از ترس مرگ
سوختي لات و منات كهند را ** تازه كردي كائنات كهنه را
در جهانِ ذكر وفكر انس وجاں ** تو صلوات صبح تو بانگِ اذاں
لذت سوز و سرور از لا اله ** در شب انديشه نور از لا إله
ايں همه از لطف بپاياںِ تست ** فكر ما پرورده ادساں تست
اے مقام و منزلِ هر راه رو ** جذب تو اندر دل هر راه رو.(٥)

ترجمة:

"أشكو إليك يا رسول الله! هذه الأمة التي تسلط عليها خوف الموت، إنك حطمت الأصنام القديمة كاللات ومناة، وجددت العالم القديم، الذي سرى فيه الهرم، ودب فيه الموت، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان والحنان، والتسبيح والأذان، ويستمد من الشهادة التي لقنتَه إياها الانتباه والحضور والنور والسرور، إننا –وإن وُلدنا في بلاد عريقة في الوثنية– رفضنا أن نعبد الثور

والبقر، وأبينا أن نطاطئ رؤوسنا أمام الكهان والسدنة، فلم نخر بين يدي الآلهة القديمة، ولم لم نطف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء، والفضل في كل ذلك يرجع إلى دينك الذي جئت به، وإلى جهادك الذي قمت به، فقد تربينا على السفرة التي بسطتها للعالم، وقد ظل حديثك مصدر الشوق والسرور للأمة طيلة هذه القرون، وقد استطاعت بذلك أن تكون أبية في الفقر، عفيفة في الحاجة"(٦)

فشوقي على طريق الشعراء القدماء يبدأ قصيدته بالغزل، وإقبال على العكس يبدأ قصيدته بالمدح مباشرةً، ويقول: أنت يا رسول الله ملجأ الفقراء والمستضعفين، ولكن هذه الأمة تخاف من الموت، وأحرقتَ كتب اللات والمناة القديمة ومنحت الكائنات القديمة حياة جديدة، وعلى عادته في أثناء هذه القصيدة هو يرثي لحال الأمة المسلمة، وهو يقول:

اين مسلماں زاده روشن دماغ　**　ظلمت آبادِ ضميرش بےچراغ
در جواني نرم ونازك چوں حرير　**　آرزو در سينه او زود مير
اين غلام ابن غلام ابن غلام　**　حركت انديشه او را حرام(٧)

ترجمة:

"إن الشباب الإسلامي قد استنارت عقولهم، وأظلمت قلوبهم وضمائرهم؛ إنهم في شبابهم ناعمون, رقاق كالحرير، لايحتملون الأمل الجديد، والنظر البعيد، إنهم نشأوا على العبودية، ودرج على ذلك جيل بعد جيل، حتى أصبحوا لايحلمون بالحرية، ولا يطيقونها"(٨)

وقال إقبال يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة أردية في ديوانه جناح جبريل، عنوانها ذوق وشوق:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیراوجود الکتاب　**　گنبد آبگینہ تیرے محیط میں حباب
عالم آب وخاک میں تیرے ظھور سے فروغ　**　ذرہ ریگ کو دیا تو نے طلوع آفتاب
شوکت سنجر و سلیم تیرے جلال کی نمود　**　فقر جنید و بایزید تیرا جمال بے نقاب

شوق ترا اگر نہ ہو میری نماز کا امام ** میرا قیام بھی حجاب، میرا سجود بھی حجاب

تیری نگاہ ناز سے دونوں مراد پا گئے ** عقل غیاب و جستجو عشق حضور و اضطراب(9)

ترجمة:

اللوح أنت و ما في اللوح من قدر ** وكل ما فيه من سطر ومن كلم

لو تنطق القبة الزرقاء ما كذبت ** بأنها ذرة في بحرك العرم

لك الجلال الذي لم تبق روعته ** من ملك سنجار إلا عبرة الندم

لولا جمالك ما ذاق الجنيد نوى ** ولا أهيل على طيفور بالتهم

نداك لا تعرف الأنساب نفحته ** يا من غمرت جميع الناس بالكرم

إن لم تكن نصب عيني في الصلاة فلا ** قامت على الزور في محرابها قدمي

مذاهب الفكر من بحث الغياب وهت ** ومشهد الحب من وثب الحضور دمي

بالرغم من ثورة للشمس ساطعة ** مازالت الأرض في بحر من الظلم(١٠)

ولكن لانجد في شعره الأردي قصيدة مستقلة خاصة بالمديح التقليدي للرسول صل الله عليه وسلم إلا أبياتا مبعثرة في كثيرمن قصائده، وذلك بأن لإقبال أسلوبا خاصا، هو لايركز على المدح وحده، وإنما يركز على الرسالة أيضا، وهي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة الإسلام بفلاح الإنسانية، ويستوحي الفكرة من القرآن والسنة، وهذه الفكرة تسود جميع شعره، وهو يعتقد أن عودة المسلمين إلى تعاليم القرآن والسنة هو السبيل الوحيد لتحررهم من الجهالة والتخلف، وهو يقول مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم:

تو اے مولائے یثرب آپ میري چاره سازي کر ** مري دانش ہے افرنگی، مرا ایماں ہے زناري(11)

ترجمة:

ساعدنا بفضلك يا مولى يثرب! ** فعادت ثقافتنا إفرنجيةً وإيماننا هندوسيًا

وهو يرثي لحال الأمة الإسلامية وجهلها وتخلفها كما قال:

اے بادصبا کملي والے سے، جا کہیو پیغام مرا ** قبضے سے امت بیچاری کے دیں بھی گیا، دنیا بھی گئی(١٢)

أبلغي–يا ريح الصبا– رسولَ الله رسالتي بأن أمته البائسة أضاعت كلا من الدين والدنيا

وله قصيدتان رائعتان بالأردية، إحداهما "الشكوى"، والثانية "جواب الشكوى"، وقال في جواب الشكوى يشكو إلى المسلمين عن ابتعادهم عن التعليمات الدينية:

کون ہے تارک آئینِ رسُولِ مختارؐ؟ **مصلحت وقت کی ہے کس کے عمل کامعیار؟

کس کی آنکھوں میں سمایا ہے شعارِاغیار؟ **ہوگئ کس کی نِگہ طرزِ سلَف سے بیزار؟

قلب میں سوز نہیں،رُوح میں احساس نہیں **کچھ بھی پیغامِ محمدؐ کا تمھیں پاس نہیں

شور ہے، ہوگئے دنیا سے مسلماں نابود **ہم یہ کہتے ہیں کہ تھے بھی کہیں مسلم موجود!

وضع میں تم ہونصاریٰ تو تمدّن میں ہنود **یہ مسلماں ہیں! جنھیں دیکھ کے شرمائیں یہود

یوں توسیّد بھی ہو،مرزا بھی ہو،افغان بھی ہو **تم سبھی کچھ ہو، بتاؤ تو مسلمان بھی ہو!(١٣)

ترجمة:

من ذا الذي يترك دستور النبي المختار؟ ومن ذا الذي تخضع أعماله للمصالح والأغراض؟

ومن ذا الذي يتمسك بشعار الأغيار ومن ذا الذي يستغني عن سلفه الصالح ومنهجه؟

فلا خلوص في القلب، ولا شعور في الروح و لا مراعاة لتعاليم النبي المصطفى المعصوم

قامت الضجة بأن المسلمين عادوا في غياب الزمان فأقول: هل كان المسلم له وجود حقا؟

أنتم تحكون النصاري في الوضع، واليهود في المدنية آهًا للمسلمين الذين يستحيي منهم اليهود.

إن منكم سادات و ميرزا و أفغان أفليس أنكم كل شيئ، سوى أن تكونوا مسلمين؟ .

ويحاول تارة أخرى أن يوقظ المسلمين من النوم، ويدعوهم إلى النبع الإسلامي الصافي، الذي يؤدي إلى الحرية وإلى السعي والحركة، يقول:

مثلِ بُو قید ہے غُنچے میں، پریشاں ہوجا ** رخت بردوش ہوائے چمَنِستاں ہوجا
ہے تنک مایہ تو ذرّے سے بیاباں ہوجا ** نغمۂ موج سے ہنگامۂ طُوفاں ہوجا!
قُوّتِ عشق سے ہر پست کو بالا کردے ** دہر میں اسم ِ محمدؐ سے اُجالا کردے
عقل ہے تیری سپَر، عشق ہے شمشیر تری ** مرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تری
ماسِوَیٰ اللہ کے لیے آگ ہے تکبیر تری ** تُو مسلماں ہو تو تقدیر ہے تدبیر تری
کی محمدؐ سے وفا تُو نے تو ہم تیرے ہیں ** یہ جہاں چیز ہے کیا، لوح و قلم
تیرے ہیں(١٤)

ترجمة:

أنت الآن كالرائحة الحبيسة في أكمام الزهور، فانفتح على الآفاق، وكن كهواء الحديقة، ينافس الريح.

أنت في ضيق الذرة، فكن في سعة الصحراء وكن كالعاصفة العاتية ذات أمواج

قم بإعلاء كل منخفض بقوة العشق وأنِر الزمان كله باسم محمد صلى الله عليه وسلم

إن عقلك ترس وعشقك سيف أيها الدرويش! إن الخلافة ملكك العالمي

إن شعار "الله أكبر" نار حرَّاقة لما سوى الله إن تدبيرك هو القدر الإلهي إذا كنت مسلما

أنا لك إذا كنت وفيا لمحمد ولك هذا العالم كله؛ بل لك اللوح والقلم.

**ذكر حال الأمة المحمدية عند الشاعرين:**

أما شوقي فهو أيضا يرثي كثيرا لحال المسلمين وانحرافهم عن التعاليم الإسلامية، كما هو يقول في همزيته:

ماجئتُ بابكَ مادحاً، بل داعياً ** ومن ا لمديح تضرُّعٌ و دعاءُ
أدعوك عنق وميالضعاف لأزمةٍ ** في مثلها يلقى عليك رجاءُ
أَدرى رَسول اللهِ أَ نَّ نُفوسَهُمْ ** رَكِبَت هَواها وَ القُلوبُ هَواءُ
مُتَفَكِّكونَ فَما تَضُمُّ نُفوسَهُمْ ** ثِقَةٌ وَ لاجَمَعَا لقُلوبَ صَفاءُ

رَقَدوا وَ غَرَّهُمُ نَعيمٌ باطِلٍ ** وَنَعيمُ قَومٍ في القُيودِ بَلاءُ(١٥)

ويقول في قصيدة أخرى، عنوانها "إلى عرفات":

شُعوبُكَ في شَرقِ البِلادِ وَ غَربِها ** كَأَصحابِكَهفٍ في عَميقِ سُباتِ

بِأَيمانِهِمْ نورانِ ذِكرٌ وَ سُنَّةٌ ** فَمابالُهُمْ في حالِكِ الظُلُماتِ؟(١٦)

يقول شوقي عن المساواة الإسلامية:

فرسمت بعدك للعباد حكومة ** لا سوقة فيها و لا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحده ** والناس تحت لوائها أكفاء(١٧)

نجد عددًا من الأبيات في شعر إقبال في هذا الموضوع، فهو يقول:

مٹا دیا مرے ساقی نے عالم من و تو ** پلا کے مجھ کو مئے لا الہ الا ھو (١٨)

أي: قد محا الساقي عالم الفرق بين "أنا وأنت" إذا سقاني شربة لاإله إلا هو

وفي قصيدة أخرى يقول:

لیکن بلال وہ حبشي زادہ فقیر ** فطرت تھی جس کی نور نبوت سے مستنیر

جس کا امیں ازل سے ہوا سینہ بلال ** محکوم اس صدا کے ہیں شاہین و فقیر

ہوتا ہے جس سے اسود و احمر میں اختلاط ** کرتی ہے جو غریب کو ہم پہلوے امیر

ھے تازہ آج تک وہ نوائے جگر گداز ** صدیوں سے سن رہا ہے جسے گوش چرخ پیر

اقبال کس کے عشق کا یہ فیض عام ہے ** رومی فنا ہوا حبشي کو دوام ہے (١٩)

ترجمة:

لكن ذالك البلال الحبشي البائس المنكود — الذي استنارت فطرته بنور النبوة

ذلك النور الذي ورثه قلب بلال منذ قديم — والنور الذي يخضع له الرئيس والمرؤوس

ذلك النور الذي يجمع بين الأسود والأحمر — والذي يقيم الأمير بجانب الفقير

ذلك النور الذي ما زال صوته طربا ومطربا　　تسمعه أذن العالم القديم منذ قرون

من ذا الذي عم عشقه هذا العموم يا إقبال!　　والذي جعل الرومي يفني والحبشي يبقى؟

**الخاتمة:**

وخلاصة القول أن المدائح النبوية في شعر إقبال وشوقي تتنوع وتتعدد؛ لأنهما لم يركزا على المدائح وحدها، وإنما يركزان على الجوانب الأخرى أيضا، ومنها رسالة الإسلام، التي لها أهمية كبيرة، بالنسبة إليهما، وهكذا دعا كل منهما إلى الصحوة واليقظة الإسلامية، نجد أن شوقي نظم قصائدمستقلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكننا لانجد في شعر إقبال الأردي قصيدة مستقلة في المدح التقليدي؛ ولكن إذا درسناه بدقة لوجدنا أنه مستمد من روح الإسلام، وأن محور فلسفته وفكرته قام على هذا الروح، لذلك نستطيع ان نقول: إن كثيرا من شعر إقبال هدية إلى سيدنا الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

## هوامش

(١) للاطلاع الواسع على ترجمة أمير الشعراء يراجع: انطون الجميل، شوقي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٢م؛ والأمير شكيب أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنة، مصر: مطبعة عيسي الحلبي وشركاؤه،ط١، ١٩٣٦م.

(٢) للاطلاع الواسع على ترجمة الشاعر الإسلامي محمد إقبال يراجع: نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع؛ وأبو الحسن علي الحسني الندوي، روائع إقبال، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٦٠م.

(٣) أحمد شوقي، الشوقيات، (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م)، ص٤١.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٥) علامه اقبال، مثنوي پس چه بايد كرد(ايران: خيابان فردوسي، تهران، ١٤٣٦هـ)ص٤٥

(٦) ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد غوري، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٧) علامه اقبال، مثنوي پس چه بايد كرد، ص٤٦.

(٨) ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد غوري، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٣٩٨.

(٩) علامه اقبال، كليات اقبال،(باكستان: اقبال اكادمي لاهور، د.ط، ١٩٩٠م)، ص٤٤٠.

(١٠) ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد غوري، ج٢، ص٥٠١-٥٠٢.

(١١) علامه اقبال، كليات اقبال، ص٣٧٢.

(١٢) المصدر السابق، ص٣٠٩.

(١٣) المصدر السابق، ص٢٣٠

(١٤) المصدر السابق، ص٢٣٦.

(١٥) أحمد شوقي، الشوقيات، ص٤٧.

(١٦) المصدر السابق، ص١٣٧.

(١٧) المصدر السابق، ص٤٥.

(١٨) علامه محمد إقبال، كليات اقبال، ص٣٥٢.

(١٩) المصدر السابق، ص٢٧١.